ان هذا البناء الخشبي الضخم أجبر عددا كبيرا من المدافعين على أن يبحثوا لهم عن ملجأ في الكهوف والثقوب المحفورة في الارض وأصبح وضعهم حرجاً ، ولكن القيصر قدم لهم عفوه مرة اخرى إذا وافقوا على اخلاء المدينة والذهاب حيث يشاؤون .

وفي هذه الاثناء كان وضع الالغام مستمرا في مناطق مختلفة تحت المدينة ، وفي الثلاثين من ايلول من سبتمبر حدث انفجار رهيب تبعه انفجار آخر في الثاني من تشرين الأول اكتوبر . أما التتر الذين طردوا من ملاجئهم بفعل الدمر والصدمة فقد اندفعوا صفوفا متراصة نحو الروس على أمل القيام بالتحام أخير ، وحدثت بين الطرفين معركة رهيبة دامية في آخر يوم من ايلول سبتمبر . واعتقد البويار أن الساعة قد ازفت لمعركة عامة والحوا على إيفان بأن ينتهز الفرصة للانتهاء من قازان في ذلك اليوم بالذات ، ولكن إيفان لم يكن متعجلاً فقد كان ينبغي على الجيش كله اولا أن يقوم بالاعتراف والمناولة ليكون مهيأ للموت والخلود ، أما العقول الاقل ورعا بين الروس فلم تكن مكتفية بالبقاء سلبية في هذا الموقف الديني بل أخذت تستفيد من وقت الصلوات هذا لاعداد نفسها لمواجهة الالتحام العام القادم . وهكذا كرست كميات كبيرة من المواد لردم الالحفر ورأى التتر في معسكر العدو نشاطا غير معتاد ففهموا انه يعد العدة من اجل القيام بهجوم لاقتحام الحصن فأعدوا لذلك اهبتهم وتهيؤوا لموقعة الغداة .

وفي صبيحة اليوم التالي بينما كان القيصر في الخدمة الدينية أصابته رجفة لدى سماعه ضجة انفجار رهيب تحت أسوار قازان . لقد انفجر آخر لغم وكان ذلك اشارة لبدء الهجوم . أما القيصر فقد نظف الغبار الذي ملأ عينيه وتابع واجباته الدينية . ونحن ندهش اليوم من رؤية شاب ذي مزاج حاد يكتفي بالسجود في الكنيسة بينما